"أتُراه حُلمًا أَمْ حقيقة؟": تأمُّلات بعدسة التحليل النفسيّ حول سياسة اللا-فعل والطريق المسدود في السياسة العالميّة

لمى ز. خوري

تشرين الثاني، 2024

مدى الكرمل
علم النفس التحرّري
Liberation Psychology

برنامج علم النفس التحرّري

"أتُراه حُلمًا أَمْ حقيقة؟": تأمُّلات بعدسة التحليل النفسيّ حول سياسة اللا-فعل والطريق المسدود في السياسة العالميّة

"Is this a Dream or for Real?": Psychoanalytic Reflection on Inaction and Impasse

لمى ز. خوري

Lama Z. Khouri

معالِجة ومحلِّلة نفسيّة فلسطينيّة مقيمة في الولايات المتّحدة، وهي مؤسِّسة شريكة للشبكة الفلسطينيّة العالميّة للصحّة النفسيّة. تحمل شهادة دكتوراة في دراسات التحليل النفسيّ، وتمارس التحليل النفسيّ العابر للحضارات. عملت في الماضي مسؤولة الشؤون السياسيّة في قسم عمليّات حفظ السلام في الأمم المتّحدة.

* هذا المقال نسخة مترجمة ومطوّرة عن مقال للكاتبة بالإنجليزيّة نُشِر في مجلّة پاراپراكسيس (Parapraxis Magazine).

بدعم من مؤسسة عبد المحسن القطان A M QATTAN FOUNDATION

تحرير: إيناس عودة- حاج، د. مصطفى قُصقصي
ترجمة: عبد عزام
تدقيق لغويّ: حنّا الحاج

حقوق النشر محفوظة 2024

مدى الكرمل- المركز العربيّ للدراسات الاجتماعيّة التطبيقيّة
العنوان: شارع هميچنيم 90، حيفا
البريد الإلكترونيّ: mada@mada-research.org
رقم الهاتف: 04-8552035

أتُراه حُلمًا أَمْ حقيقة؟

من بين مقاطع الڤيديو العديدة التي تُصوِّر ما اصطُلِح على تسميته "حالة نموذجيّة للإبادة الجماعيّة"،[1] يبرز مقطع مصوَّر مؤثّر. يصوّر هذا المقطع المروّع فتاة صغيرة ترقد على نقّالة، ويبدو أنّها قد خُلِّصت للتوّ من بين حُطام منزلها. وفيما كان يغطّي وجهَها غبارٌ رماديّ وجروحٌ سطحيّة، عمل المسعفون جاهدين على تنظيف الشظايا ومعالَجة إصاباتها. وفي لحظة من الإحساس بفقدان الأمان الذي يفطر القلب، تتساءل:

- عمّو عمّو... بدي أسألك شغلة؟
- احكي... شو؟
- هذا حلم والّا بجدّ؟[2]

تساؤل الفتاة لا يسلّط الضوء على الواقع الموجع الذي يعيشه أطفال غزّة وسط الفظائع المستمرّة فحسب، بل إنّه يجسّد كذلك الصدمةَ العميقة والعجْز عن التصديق اللذَيْن يشعر بهما الفلسطينيّون والمتضامنون معهم إزاء اللامبالاة وإخفاق الجهات الفاعلة والكيانات الدوليّة، وعلى وجه الخصوص مجلس الأمن التابع للأمم المتّحدة، في وقف الإبادة الجماعيّة. فمن ناحية، الذين كانوا فيما مضى يؤمنون على نحوٍ ما بمبادئ القانون الدوليّ وحقوق الإنسان واللباقة الإنسانيّة الأساسيّة جلب لهم هذا الفشل الذريع معه صحوةً قاسية، صحوةً تركتنا محْبَطين وخائبين على نحوٍ عميق. يكشف نهج سياسات الإماتة (necropolitics)[3] الذي يعتمده المجتمع الدوليّ عن المعايير التي يُقرَّر بحسبها مَن يستحقّ الحفاظ على حياته ومن لا يستحقّ ذلك. وتتكشّف هذه الحقيقة على خلفيّة البثّ المباشر والمستمرّ للإبادة الجماعيّة في غزّة، والتي تسلّط الضوء على فشل أخلاقيّ فادح.

إنّ غياب التحرُّك الحاسم من جانب المجتمع الدوليّ، وخاصّة من طرف مجلس الأمن، لإنهاء الفظائع في قِطاع غزّة لَأمرٌ مقلق جدًّا. يتمتّع مجلس الأمن بالسلطة القانونيّة وبالقدرة العسكريّة التي يمكنها إنهاء هذه الإبادة الجماعيّة ومحاسبة الجناة. إنّ هذا التساؤل الذي يلازمنا ("هذا حلم والّا بجدّ؟") يطرح معضلة كبيرة: كيف يمكن إزاء القَدْر الكبير من الدمار والمعاناة والألم الحفاظُ على تعامل تميّزه السلبيّة واللامبالاة؟

دَوْر "اللاوعي المعياريّ" في إنشاء الأمم المتّحدة وسياساتها[4]

يمْكن لمصطلح "اللاوعي المعياريّ" ("normative unconscious") الذي صكّته لين لايتون أن يوفّر لنا إطارًا مفيدًا لفَهم ما يبدو وكأنّه حالة من اللامبالاة تسيطر على مجلس الأمن. قامت لايتون بتوظيف هذا المفهوم لتصف الكيفيّة التي يتمّ من خلالها تذويت عوامل اجتماعيّة _ ثقافيّة وخطاب سياسيّ معيّن لتشكيل هُويّتنا ووعينا، وكذلك توضّح لنا كيفيّة تأثير هذه العوامل

1. https://jewishcurrents.org/a-textbook-case-of-genocide.

2. (انظروا الڤيديو هنا)

3. Mbembe, Achille. (2003). "Necropolitics". *Public Culture*. 15 (1): 11–40.

4. يعتمد هذا القسم كبيرَ اعتمادٍ على مقال نشرته المؤلّفة عام 2019:
Khouri L. Z.(2019) The Normative Unconscious Of Nations: A critical geopolitical and psychoanalytic perspectives on the United Nations Security Council's counterterrorism strategy. *Int J Appl PsychoanalStudies*. 2019; 16: 244–257. https://doi.org/10.1002/aps.1635

على التواصل بين الأفراد، وعلى علاقاتنا مع ذواتنا ومع الآخرين. [5]

وفي مجال العلاقات الدوليّة، يتولّد اللاوعي المعياريّ من حقيقة كوننا نعيش في عالَم تعزِّزُ فيه المعايير "الحاجة الأيديولوجيّة السائدة المتمثّلة في الحفاظ على الوضع القائم"؛ [6]إذ تعمل الدول الأعضاء في مجلس الأمن في نظام أنشأته هي ذاتها (بوعي أو بغير وعي) من أجل الحفاظ على سيطرتها على السلطة. وعلى سبيل المثال، نادرًا ما نتساءل عن أمر بسيط مثل سبب وجود أوروبا في مركز أيّ خريطة للعالم وتمثيل بقيّة العالم كمتعلّق بها. [7]

نجد اللاوعي المعياريّ لمجلس الأمن متجلّيًا في مسائل منهجيّة وبنيويّة تَمثُل ظلالها بالفعل في الميثاق التأسيسيّ، وخاصّة في ما يتضمّنه من مفهوم للمجلس ولصلاحيَاته. وعلى الرغم من أنّ إنشاء المجلس بموجِب ميثاق الأمم المتّحدة كان يظهر وكأنّه يرمي إلى منع حرب عالميّة أخرى، فقد كان يعكس من ناحية فعليّة رؤية مركزيّة-أوروبيّة، واستشراقيّة، وثنائيّة للجنس البشريّ وللعلاقات الدوليّة المقسومة بين "نحْنُ" وَ "هُمْ." وفي الواقع، يحمل ميثاق الأمم المتّحدة في ذاته خللًا؛ إذ على الرغم من أنّه يبدأ بالعبارة "نحن شعوب الأمم المتّحدة"، يظلّ نصّه الخبيء يعني ضمنًا أنّه في حين أنّ "جميع الناس متساوون، فإنّ بعضهم أكثر مساواة من غيرهم" (بتصرُّف صياغيّ لتعبير جورج أورْويل). [8]

مرارًا وتكرارًا ينكشف اللاوعي المعياريّ الفارض سلطته والذي يتبنّاه مجلس الأمن، ولا سيّما أعضاءه الدائمين، وعلى رأسهم الولايات المتّحدة. وظهر هذا التسلُّط جليًّا مؤخّرًا من خلال تأكيد الولايات المتّحدة المتكرّر أنّ إسرائيل تمتلك الحقّ في الدفاع عن نفسها، فيما يشير ذلك ضمنًا إلى أنّ هذا الحقّ توسَّعَ إلى الحقّ في "قتل أكثر من 13 ألف طفل وجعل 17 ألفًا منهم أيتامًا" [9] حتى تاريخ كتابة هذا المقال.

هَيْكَلة مجلس الأمن التابع للأمم المتّحدة على نحوٍ يمنح الدول الخمس الدائمة العضويّة في المنظّمة وحدها حقَّ النقض، هذه الهيكلة تجعل ميثاق الأمم المتّحدة يوحي لنا بأنّ هذه الدول عقلانيّة ومتماسكة نفسيًّا تمامًا.[10] [11] وكذلك قد يوحي لنا بأنّ هذه الدول هي الجهة الوحيدة التي يمكن الوثوق بها لتولّي مَهَمّة حماية البشريّة من الدمار الذاتيّ. وبناءً على ذلك، يجري تمثيل الجزء

5. Layton, L. (2002). Cultural hierarchies, splitting, and the heterosexist unconscious. In S. Fairfield, L. Layton, & C. Stack (Eds.), *Bringing the plague.* Toward a postmodern psychoanalysis (pp. 195–223). New York: Other Press.

Layton, L. (2004a). A fork in the royal road: On defining the unconscious and its stakes for social theory. *Psychoanalysis, Culture & Society*, 9(1), 33–51.

Layton, L. (2004b). This place gives me the heebie jeebies. *International Journal of Critical Psychology*, 10, 36–50.

Layton, L. (2004c). Relational no more: Defensive autonomy in middleclass women. In J. A. Winer, J. W. Anderson, & C. C. Kieffer (Eds.), *The annual of psychoanalysis, Volume XXXII: Psychoanalysis and women* (pp. 29–42). Hillsdale, NJ: Analytic Press. Layton, L. (2004d). Working nine to nine: The new women of prime time. *Stud. Gend. Sex.*, 5(3), 351–369.

Layton, L. (2005, April 14th). Notes toward a non-conformist clinical practice [Paper presented]. the spring meeting of the American Psychological Association., Div. 39, New York.

Layton, L. (2006). Attacks on linking: The unconscious pull to dissociate individuals from their social context. In L. Layton, N.C. Hollander, & S. Gutwill (Eds.), *Psychoanalysis, class and politics: Encounters in the clinical setting.* London: Routledge.

6. Layton, L. (2006). ibid p. 239–240.

7. Khouri LZ. (2019) The Normative Unconscious of Nations: A critical geopolitical and psychoanalytic perspectives on the United Nations Security Council's counterterrorism strategy. Int J Appl PsychoanalStudies.2019;16:244–257. https://doi.org/10.1002/aps.1635.

8. Orwell, G. (2021). *Animal Farm.* Scotland: William Collins.

9. Al-Jazeera. (2024, 2nd February). UN estimates 17,000 Gaza children left unaccompanied amid Israel's war. Al-Jazeera.
Al-Jazeera. (ND). Israel-Gaza war in maps and charts: Live tracker. *Al-Jazeera.* https://www.aljazeera.com/news/longform/2023/10/9/israel-hamas-war-in-maps-and-charts-live-tracker

10. Khouri, (2019). Ibid.

11. Deutsch, J. (2024). UN Systemic and Individual Flaws and Failures, *Counterpunch*, February 8, 2024. https://www.counterpunch.org/2024/02/08/un-systemic-and-individual-flaws-and-failures/

"الآخَر" من العالم ("الشرق" على حدّ تعبير إدوارد سعيد) [12]باعتباره غير مستقرّ نفسيًّا، وضعيفًا، ومؤنّثًا، وغير عقلانيّ، وبالتالي لا يمكن الوثوق به في ما يتعلّق بقضيّة إدامة الجنس البشريّ. وباستثناء الصين، التي اتّبعت عمليّةُ ضمّها إلى مجلس الأمن منطقًا ومسارًا مختلفين تمامًا، فإنّ الدول الأربع الأخرى الأعضاء في مجلس الأمن هي دول أوروبيّة أو شبه أوروبيّة بالنظر إلى القيم التي تحملها وإلى هيكليّاتها. وفي ما يخصّ هذه الدول الأعضاء الأربع، وكما يصرّح سعيد، فإنّ *"العالَم غير الأوروبيّ لا يحتوي إلّا على السكّان الأصلانيّين، فيما تشكّل النساء المحجَّبات، وأشجار النخيل، والمنظر الطبيعيّ، والخلفيّة الطبيعيّة للوجود البشريّ (للقوى الاستعماريّة)"* (ص 18-19، مع اقتباس من فانون، والخطّ المائل معتمَد من النصّ الأصليّ). [13]وينكشف على نحوٍ صارخ مَن استتر مِن انحياز مجلس الأمن ضدّ الدول النامية أو المستعمَرة واعتباره إيّاها دون البشريّة عند مقارنة ردّ فعل المجلس على الإبادة الجماعيّة في رواندا عام 1994 مع ردّ فعله على أحداث الـ 11 من سبتمبر /أيلول عام 2001. ففي أقلّ من أربع وعشرين ساعة، أصدر مجلس الأمن التابع للأمم المتّحدة في الثاني عشر من سبتمبر /أيلول عام 2001 بيانًا رئاسيًّا صارمًا يُدين الهجوم الذي أدّى إلى مقتل ما يقرب من أربعة آلاف شخص. أمّا في حالة رواندا (وفي حالة غزّة الآن)، فقد كان لدى مجلس الأمن والأمانة العامّة للأمم المتّحدة أدلّة على أنّ إبادة جماعيّة على وَشْك الحدوث، ولكنّهما لم يتّخذا أيّ تدابير تمنعها باستخدام القوّة. [14]

الفلسطينيّ كـ"مرجع غائب"

يُعتبر مصطلح كارول آدامز المرجع الغائب (Absent Referent) مفهومًا بالغ الأهمّيّة في نظريّة حقوق الحيوان والنسويّة، وقد جرى استخدامه في الأصل لوصف الكيفيّة التي بحسبها يُجعَل واقع حياة الحيوانات والتجارب التي تمرّ بها غيرَ مرئيّةٍ أو مجرَّدةً في سياق استهلاكها. [15] تدّعي آدامز في كتابتها أنّ اللغة والممارَسات التي ترتبط باستهلاك اللحوم تحجب الحيوانات نفسها، وتحوّلها إلى أشياء أو سلع بدلًا من الاعتراف بها ككائنات حيّة. فعلى سبيل المثال، عندما نناقش مواضيع كلحم الخنزير المقدَّد أو لحم الخنزير، على سبيل المثال، فإنّ الخنزير -أي الحيوان الفعليّ الذي أُزهقت حياته- هو "المرجع الغائب." ويجري بحسب ذلك محو وجود الحيوان من وعينا، ممّا يسهّل الفصل بين الكائن الحيّ والمنتَج المستهلَك، وبالتالي يصبح فعل استهلاك اللحوم أكثر قبولًا وأقلّ إزعاجًا من الناحية الأخلاقيّة.

وإذا قمنا بتوسيع هذا المفهوم ليشمل إطار مجلس الأمن ونظرته إلى الحالة الفلسطينيّة، ففي إمكان فكرة آدمز عن المرجع الغائب أن تساعدنا على فهم لا مبالاة مجلس الأمن. فهنا يُدين المجلس الفعل المقاوِم الفلسطينيّ ويلقي عليه اللوم دون أن يعترف بجرائم إسرائيل، ودون أن يتعامل بعمق مع التاريخ، ودون أن يعترف بسياسة الإماتة (necropolitics) التي تنتهجها الدولة الاستعمارية الاستيطانيّة. إنّ الدليل على غياب مثل هذا الانخراط هو الإشارة المتكرّرة إلى السابع من تشرين الأوّل /أكتوبر عام 2023 باعتباره سبب الإبادة الجماعيّة. وبالطريقة نفسها التي يصبح بحسبها

12. Said, E. W. (1978). *Orientalism.* New York, NY: Pantheon Books.

13. Said, E. W. (2003). *Freud and the non-European.* London, England: Verso.

14. Berman, E.G. (2001). The international commission of inquiry (Rwanda): Lessons and observations from the field. *American Behavioral scientist*, 45(4), 616-625.

15. Adams, C. (1990). *The sexual politics of meat: A feminist-vegetarian critical theory.* Bloomsberry: Publishing In.

الخنزير "مرجعًا غائبًا" في سياق استهلاك لحم الخنزير، يصبح كذلك المقاومون الفلسطينيّون ودوافعهم المعقَّدة "مرجعًا غائبًا" في السياسات والقرارات المتعلّقة بفلسطين بعامّة، وبغزّة على وجه الخصوص. يؤدّي النهج الذي يتّبعه مجلس الأمن إلى محو فعليّ لإنسانيّة الشعب الفلسطينيّ. ويسهّل هذا المحوُ للرواية والتاريخ تبريرَ جرائم الحرب والقتل، وذلك دون مواجهة المهَمّة الأكثر تحدّيًا المتمثّلة في فهم ومعالَجة القضايا الأساسيّة التي أدّت إلى تشكيل المقاومة وإلى استمراريّتها. وبالتالي يمنحنا مفهوم "المرجع الغائب" عدسة قويّة نستطيع من خلالها أن ننتقد انفصالنا عن الأخلاقيّ، تمامًا كما هو الأمر في حالة استهلاك الحيوانات، والممارَسات السياسيّة والمؤسَّساتيّة الأوسع نطاقًا التي تنزع الصفة الإنسانيّة عن الصراعات البشريّة المعقَّدة وتبسّطها. ومن خلال عرض هذه المقارنة، تدعو هذه الورقة إلى تأمُّل أعمق في الكيفيّة التي تتعامل بحسبها كيانات مثل مجلس الأمن التابع للأمم المتّحدة مع مفهوم الإرهاب، وفي الإسقاطات المترتّبة على مثل هذا التعامل على كلٍّ مِن صنْعِ السياسات وإمكانيّةِ تحقيق السلام والأمن الدائمَيْن.

يمكن تأويل مقال إدوارد سعيد "الإذن بالسرد" من خلال عدسة "المرجع الغائب" في ما يتعلّق بالشعب الفلسطينيّ ومكانته في السرديّات العالميّة. ففي هذا المقال، يناقش سعيد التحدّيات التي يواجهها الفلسطينيّون في ما يخصّ الاعتراف بقصصهم ووجهات نظرهم ومعاناتهم وإضفاء الشرعيّة عليها في الساحة العالميّة، وعلى وجه الخصوص في الخطاب الغربيّ ووسائل الإعلام الغربيّة.

وبحسب آدامز، يُبرِز مفهوم المرجع الغائب محوَ أو إخفاءَ مواضيع بعينها في سياقات محدَّدة. وإذا طبّقنا هذا الأمر على الادّعاء الذي يقوده سعيد، يصبح الفلسطينيّون بمثابة المرجع الغائب في السرديّات التي تُبنى حول الشرق الأوسط، حيث تتعرّض تجاربهم وحقوقهم وتطلُّعاتهم غالبًا إلى التعتيم أو إلى حذفها بالكامل. ويسهّل هذا المحو عرض تمثيلٍ للصراع مبسَّطٍ ومنحرفٍ يقوم -في كثير من الأحيان- على تهميش الأصوات الفلسطينيّة، وتقليص تاريخهم المعقَّد ونضالاتهم إلى مجرّد حَواشٍ في سرديّة يطغى فيها التركيز على إسرائيل.

يدور نقد سعيد في الأساس حول القوّة والتمثيل والصوت، وهي ثيمات يتردّد صداها مع مفهوم المرجع الغائب. فبالطريقة نفسها التي بحسبها يجري إغفال الحيوانات في المناقَشات حول استهلاك اللحوم، يجري إغفال الفلسطينيّين في العديد من السرديّات التي تشكّل التصوُّرات والسياسات الدوليّة. ولا يقوم هذا التغييب بتجاهلهم فحسب، بل إنّه يقوم كذلك بإنكار صفة الفاعليّة /الوكالة (agency) عنهم وإسكات الأصوات وجعل المستحقّات المُطالَب بها والمظالم المشروعة غيرَ مرئيّة.[16] ومن خلال تأطير الفلسطينيّين كمرجعيّات غائبة، يمكننا أن نفهم على نحوٍ أفضل آليّات الإقصاء والتهميش التي تعمل في وسائل الإعلام والسياسة والأوساط الأكاديميّة. ويحثّ هذا المنظور على إعادة النظر في الأطراف المسموح لهم بالتحدُّث، وفي من تُضفى الشرعيّة على سرديّاته، وكيف تشكّل هذه الديناميكيّات فَهْمنا للصراعات والأزمات. كذلك يتحدّى كتاب سعيد "الإذن بالسرد" القُرّاءَ للاعتراف بهذه الغيابات وطرح الأسئلة حولها، مُطالِبًا بتوجُّه أكثر شمولًا يعترف بالسرديّات الفلسطينيّة ويدمجها كجزء لا يتجزّأ من الخطاب الأوسع حول الشرق الأوسط.

وبناء على ذلك، النظر إلى الفلسطينيّين باعتبارهم مرجعيّات غائبة في الشؤون العالميّة يُثري فَهْمَنا لديناميكيّات القوّة التي تؤدّي دَوْرًا في بناء السرديّات، ويسلّط الضوء على أهمّيّة السعي إلى خطاب أكثر إنصافًا وتمثيلًا.

16. Said, E. W. (1984). Permission to Narrate, *Journal of Palestine Studies* Vol. 13, No. 3 (Spring, 1984), 27-48.

"إنكار الموت" وأخلاقيّة الشعوب[17]

يفترض إرنست بيكر، مؤلّف "إنكار الموت"، أنّه من الممكن حصر قَدْر كبير من السلوك البشريّ في كونه محاولة لإنكار إدراكنا للموت وتجاوزه.[18] ويمكن لهذا الخوف الوجوديّ أن يدفع الأفراد، وبالتالي الدول القوميّة كذلك، إلى السعي إلى تخليد الذات، حرفيًّا في ذاته أو رمزيًّا، من خلال ممارَسات تثبّت دوام القوّة المسيطرة والعظَمة والإرث. وفي سياق الدول الأعضاء في مجلس الأمن التابع للأمم المتّحدة، بوسعنا أن نستنبط أنّ هذه النظريّة تفيد أنّه بإمكان وعي هذه الدول لإمكانيّة فَنائها أن يحفّزها على اتّخاذ إجراءات تمنع الفظائع أو أن تسهم فيها. فقد يؤدّي السعي إلى تحقيق الإرث الوطنيّ والنفوذ والقوّة إلى دفع الدول إلى الانخراط في ممارَسات يمكن تبريرها كضروريّة لبقائها أو لتفوُّقها، وهو الأمر الذي قد يؤدّي بها إلى تجاوز الاعتبارات الأخلاقيّة التي تمنع ارتكاب الفظائع.

بالإضافة إلى ذلك، يستكشف أوريئيل أبولوف، في كتابه "فَناء الأمم وأخلاقها"، كيفيّةَ تأثير القلق الوجوديّ الذي تعيشه الأمم على اختياراتها الأخلاقيّة وتحرُّكاتها السياسيّة.[19] يدّعي أبولوف أنّ بإمكان الخوف من النسيان القوميّ أن يدفع الدول إلى إعطاء الأولويّة لبقائها ولمصالحها بطرق تتعارض في كثير من الأحيان مع مبادئ أخلاقيّة عالميّة. وفي سياق مجلس الأمن وتفاعله من الإبادات الجماعيّة أو الفظائع، يشير هذا المنظور إلى أنّ الدول الأعضاء قد تعطي الأولويّة لمصالحها الوطنيّة وتحالفاتها الإستراتيجيّة ولديناميكيّات القوّة والسيطرة في مقابل الالتزامات الأخلاقيّة بالتدخُّل. فقد يتفوّق خوفها من فقدان النفوذ أو مواجهة العواقب السلبيّة على الواجب الأخلاقيّ المُطالِب بمنع الفظائع أو وقفها -وإن كانت هذه الفظائع تشتمل على انتهاكات شنيعة لحقوق الإنسان.

إنّ التسامح الذي أظهرته الدول الأعضاء في مجلس الأمن التابع للأمم المتّحدة، بوقوفها موقف المتفرّج إزاء الإبادة الجماعيّة، في الإمكان تفسيره من خلال هذا المنظور باعتباره تفاعلًا معقَّدًا بين إنكارِ الموت والخوفِ الوجوديّ والمصلحةِ الوطنيّة والقيودِ المفروضة على السياسة الدوليّة. ويقوم كلّ من بنْية مجلس الأمن وقوّة حقّ النقض بأدوارٍ مُهِمّة في كيفيّة اتّخاذ القرارات أو تعطيلها، وهي التي غالبًا ما تعكس المصالح الإستراتيجيّة والمخاوف الوجوديّة لأعضائه الدائمين عوضًا عن الأحكام الأخلاقيّة غير المتحيّزة.

تأطير الفعل واللا فعل للدول الأعضاء في مجلس الأمن، في سياق مخاوفها الوجوديّة وإنكارها للموت، لا ينبغي له أن يقوّض التنبُّه إلى قضايا متجذّرة عميقًا، كالعنصريّة وسياسات الإماتة في ممارسات المجلس، على سبيل المثال. صاغ مبيمبي مصطلح "سياسات الإماتة" ليشير إلى سلطة وقدرة الكيانات ذات السيادة على التقرير بشأنِ مَن يجوز له العيش ومَن يجب أن يموت[20]. لقد كانت هذه الإستراتيجيّة واضحة في تعامل مجلس الأمن واستجاباته الانتقائيّة للأزمات الدوليّة. بَيْدَ أنّ الاعتراف بتأثير المخاوف الوجوديّة لا يعفي مجلس الأمن التابع للأمم المتّحدة من تواطُئه في جرائم الحرب، ولا يقدّم العذر لسياسات المجلس التي تأثّرت في بعض الأحيان بالتحيُّزات العنصريّة والمصالح

17. The Psychoanalyst Irwin Hoffman has written about death and mortality extensively and, I believe, any mention of death and mortality must refer to his work. (Hoffman, 1979, 1991, 2000, 2001, 2013).

Hoffman, I. (1979) Death Anxiety and Adaptation to Mortality in Psychoanalytic Theory. *Annual of Psychoanalysis*, 7, 233-267.

Hoffman, I. Z. (1991) Discussion: Toward a Social-Constructivist View of the Psychoanalytic Situation. *Psychoanalytic Dialogues*, 1, 74-105.

Hoffman, I. Z. (2000) At Death's Door: Therapists and Patients as Agents. *Psychoanalytic Dialogues* 10:823-846.

Hoffman, I. Z. (2001) Reply to Reviews by Slavin, Stein, and Stern. *Psychoanalytic Dialogues* 11:469-497.

Hoffman, I. Z. (2013) Response to Layton: Considering the Sociopolitical Context of Dialectical Constructivism. *Psychoanalytic Dialogues*, 23, 287-295.

18. Becker, E. (1973). *The denial of death.* New York: Free Press.

19. Abulof, U. (2015) *The Mortality and Morality of Nations.* Cambridge: Cambridge University Press.

20. Mbembe, Achille (2003). "Necropolitics" (PDF). *Public Culture.* 15 (1), 11–40.

الجيو_سياسيّة على حساب الأرواح البشريّة. وحقيقة الأمر أنّ ممارسات المجلس أو تقاعسه، المتأثّرة بالمصالح الإستراتيجيّة وديناميكيّات القوّة لأعضائه، كانت قد حملت آثارًا مدمّرة على عدد من مجموعات بشريّة، وعلى وجه الخصوص في الجنوب العالميّ. إنّ الاعتراف بدَوْر الخوف الوجوديّ والسعي إلى الحفاظ على الإرث أو البقاء لا ينفي مسؤوليّة مجلس الأمن التابع للأمم المتّحدة عن التصرُّف بعدالة وبأخلاقيّة، فضلًا عن أنّ ذلك لا يعفي أعضاءه من إسقاطات قراراتهم، التي غالبًا ما أعطت الأولويّة للمصالح السياسيّة على حساب قدسيّة الحياة البشريّة.

الفلسطينيّ والمألوف-الموحش (Uncanny)

يستقصي استكشاف سچموند فرويد لِـ "الأليف-الموحش" ("The Uncanny") إلى المجال النفسيّ المتمثّل في معايشة شيء مألوف وغريب في الوقت ذاته، ويثير شعورًا بعدم الارتياح. وفيما يركّز عمل فرويد على علم النفس الفرديّ، تمنحنا مبادئه إطارًا حادًّا لفَهْم الظواهر الاجتماعيّة والسياسيّة الأوسع نطاقًا، مثل سياسة الإماتة. بالنسبة لفرويد، الأليف-الموحش عبارة عن رؤية شيءٍ ما مألوف يحمل في طيّاته في الوقت ذاته عناصر غير مألوفة أو غريبة. اجتماع منظور سياسات الإماتة مع الإطار الذي يستند إلى تفسير فرويد للأليف-الموحش يحمل أهمّيّة خاصّة لتحليل فشل مجلس الأمن في تأمين وقف إطلاق النار الدائم في غزّة، وذلك على خلفيّة مجموعة من الممارَسات والتصريحات التي أطلقها العديد من المسؤولين الرسميّين الإسرائيليّين وحملت في فحواها الدعوة إلى إبادة جماعيّة.[21] يؤكّد مبيمبي أنّ القدرة على ممارسة الهيمنة على المستعمرات من خلال حالات الاستثناء (أي من خلال تعليق القانون من أجل خدمةِ ما يمكن اعتباره خيرَ المجموعة) تقوم على نفيٍ عنصريّ لأيّ إنسانيّة مشترَكة بين المستعمِر والمستعمَر. من وجهة نظر المستعمِر، حياة "الوحوش" مختزَلة في وجودٍ حيوانيّ لا غير. وبالتالي، بالنسبة للمستعمِر يصبح التلاقي مع المستعمَر أمرًا مزعجًا جدًّا، إذ يُنظَر إلى المستعمَرين على أنّهم غرباء تمامًا وغير قابلين للفَهم. يُنظَر إلى هؤلاء "المتوحّشين" على أنّهم بشر "بالطبيعة" بينما هم مجرَّدون من الصفات التي قد تشكّل جوهرًا إنسانيًّا مميَّزًا.[22]
في الإمكان ربط هذه العنصريّة وهذا التجريد من الإنسانيّة، اللذَيْن يشكّلان عنصرًا أساسيًّا في نظريّة مبيمبي في نظريّة سياسات الإماتة، بمفهوم فرويد للأليف-الموحش، مع التأكيد على الشعور العميق بالغربة أو بالأخرويّة (othering).[23]

ينشأ الأليف-الموحش –كما وصفه فرويد وكما أعرضه في هذه المقالة باعتباره عنصرًا أساسيًّا بالنسبة لسياسة الإماتة عند مبيمبي وقدرة الأمم على الإعلان عن حياة الناس كحيوات لا تستحقّ الحِداد (على حدّ تعبير أو صياغة جوديث بتلر) - [24]من التجربة المتناقضة لشيء مألوف وغريب في الوقت نفسه. تثير هذه الثنائيّة شعورًا بعدم الارتياح لأنّه من الممكن التعرُّف عليها من جهة، ولأنّها من جهة أخرى وفي الوقت نفسه غريبة. وفي هذا السياق، "يظهر الفلسطينيّ ككيان غير مألوف

21. Law4Palestine. (2024, January 4th). "Database of Israeli Incitement to Genocide 4th January 2024 DECISION MAKERS.". *Law 4 Palestine*. law-4palestine.org/wp-content/uploads/2024/01/Database-of-Israeli-Incitement-to-Genocide-DECISION-MAKERS.pdf.

22. Mbembe, (2003). Ibid.

23. Freud, S. (1919) 'The "Uncanny"', in *The Complete Psychological Works*, Vol. XVII:,.217-56. [trans. Alix Strachey, in Freud, C.P., 1925, 4, pp.368-407].

24. Butler, J.(2010). *Frames of war: when is life grievable*? London:Verso .

ومعروف بشكلٍ ما؛ إذ يجري الحطّ من قيمة صفاته الإنسانيّة أو محوها تمامًا." [25]في سياق هذه الإبادة الجماعيّة المتواصلة، يمكن للأليف-الموحش أن يكون حصيلة تفاعُل غير واعٍ يجسّد مفهوم فرويد، حيث يوجد في ذات الوقت اعتراف بإنسانيّة "الآخر" وإنكار لها، الأمر الذي يجعل "الآخَر" يبدو معروفًا وغريبًا على نحوٍ مخيف. ينعكس هذا التفاعل في خطاب الدولة الصهيونيّة، كما يتّضح من التصريحات الداعية إلى الإبادة الجماعيّة التي يُدْلي بها مسؤولو الدولة. يعزّز التلاعب السرديّ الناتج عن ذلك الأليف-الموحش على نحوٍ فعّال من أجل تبرير السياسات؛ وذلك من خلال تصوير المستعمَرين على أنّهم مألوفون بصورة مخيفة ولكن كغرباء في الأساس، وهو ما يقود بالتالي إلى تبرير إخضاعهم وتجريدهم من إنسانيّتهم تحت ستار السياسة الخارجيّة. [26]

تتبدّى ظلال مفهوم الأليف-الموحش الفرويديّ في تأطير نتنياهو للإبادة الجماعيّة في غزّة في تغريدة نشرها باعتبارها معركة بين "أبناء النور وأبناء الظلام". كذلك يبدو الأليف-الموحش واضحًا في استحضاره للعماليق؛ وهم شعب من القدماء اعتبرته النصوص التوراتيّة عدوًّا لبني إسرائيل أَمَرَ الله بالقضاء عليه تمامًا. تتوازى مثل هذه التصريحات مع وصف وزير الحربيّة جَلانْت للفلسطينيّين بأنّهم "حيوانات بشريّة." تجسّدُ جميع هذه التصريحات خطابًا نازعًا للإنسانيّة يدعم ممارَسات سياسات الإماتة تبرّرها ديناميكيّات غير واعية مقترنة بجعل الفلسطينيّين أليفين-موحشين. هذه التصريحات لا تجرّد الفلسطينيّين من إنسانيّتهم فحسب، بل إنّها تُقِرّ ضمنًا أَمْرَ إبادتهم، وهو ما يعكس أشدّ عناصر منطق الإبادة الجماعيّة قتامةً. [27]

خاتمة: ضدّ تحويل الكوابيس إلى طبيعيّة

السؤال الذي طرحته الفتاة في الفيديو ("أتراه حُلمًا أَمْ حقيقة؟")، والذي يبدو بسيطًا في الظاهر، يشكّل دعوة حاسمة إلى الفعل الذي يتحدّى قدرتنا على مواجهة الرعب السرياليّ المتمثّل في اللافعل واللامبالاة في مواجهة الإبادة الجماعيّة. وقد سعت هذه المقالة إلى الاستفادة من فكر التحليل النفسيّ كعدسة لاستكشاف الكيفيّة التي بحسبها يُسمح لمثل هذه الفظائع التي لا يمكن تفسيرها بالاستمرار، والاستفادة من مفاهيم مثل اللاوعي المعياريّ، والأليف-الموحش، والأخلاق وفَناء الأمم، والمرجع الغائب.

يغوص مفهوم اللاوعي المعياريّ في التطبيع المزعزع لِما لا يمكن تحمُّله وقبول ما لا يمكن قبوله، مشيرًا إلى مَيْل مجتمعيّ راسخ إلى تجاهل المعاناة الإنسانيّة والظلم أو تبريرهما. ويكشف هذا المفهوم كيف يمكن للوعي الجماعيّ أن يفقد حسّاسيّته تجاه العنف والمعاناة، وهو الأمر الذي يؤدّي فعليًّا إلى تهميش أولئك الذين يتحمّلونها وجعْل ما لا يمكن تصوُّره يبدو عاديًّا أو أمرًا لا مفرّ منه.

يُلقي استكشاف فرويد للأليف-الموحش (في مقالته التي كتبها عام 1919) الضوءَ على الآليّات النفسيّة التي يزعم هذا المقال أنّها تقع في قلب سياسات الإماتة التي يمارسها المجتمع الدوليّ.

25. Varvin, S. (2017). Our Relations to Refugees: Between Compassion and Dehumanization. *American Journal of Psychoanalysis*, 77,359-377.

26. Law4Palestine. (2024, January 4th). "Database of Israeli Incitement to Genocide 4th January 2024 DECISION MAKERS.". *Law 4 Palestine*. ***law-4palestine.org/wp-content/uploads/2024/01/Database-of-Israeli-Incitement-to-Genocide-DECISION-MAKERS.pdf***.

27. Cereijido, M. (2022), Challenging Prejudice and Embracing Change. *International Journal of Applied Psychoanalytic Studies*, 19, 257–259.

Clarke, S. & Garner, S. (2005). Psychoanalysis, Identity, and Asylum. *Psychoanalysis Culture and Society*, 10, 197-206.

Karanath, S. (2023, October 9th). Israeli Defense Minister Announces Siege On Gaza To Fight 'Human Animals'. **Huffington Post**.

يَقْرن مفهوم الأليف-الموحش بين الألفةِ المزعجة وحالاتٍ من القمع والعنف، وهي الديناميكيّة التي تجعل أفرادًا معيَّنين يَبدون وكأنّهم معروفون وغريبون في الآن ذاته، وهو الأمر الذي يمنح مثل هذه الظروف استمراريّة لا تجري مواجهتها.

تطرح مناقَشة أخلاقيّات الأمم وفَنائها فحصًا نقديًّا للكيفيّة التي يمكن للقلق الوجوديّ والخوف من النسيان أن يدفع الدول إلى مَنح الأولويّة لبقائها ولمصالحها بطرق تتعارض، في كثير من الأحيان، مع الضرورات الأخلاقيّة. يمكن لهذا السعي وراء الحفاظ على الإرث والتأثير الوطنيَّيْن أن يؤدّي إلى ممارَسات وسياسات تُسْهم في الفظائع وتطغى على الواجب الأخلاقيّ لحماية الحياة والكرامة الإنسانيّة.

علاوة على ذلك، يسلّط مفهوم المرجع الغائب الضوءَ على العمليّات التي يجري من خلالها محو أو إخفاء السرديّات وإنسانيّة مجموعات معيّنة، وخاصّة الفلسطينيّين في قِطاع غزّة. فمن خلال جعل هؤلاء الأفراد "غائبين" عن الخطاب، تصبح معاناتهم غير مرئيّة، ويجري تهميش تجاربهم، وهو ما يسهّل استمرار العنف والقمع دون ردّ فعل غاضب أو تدخُّل دوليّ ذي أهمّيّة تُذْكَر.

بَيْدَ أنّ النظريّات التحليليّة النفسيّة لم تقدِّم لنا حتّى الآن إجابة قاطعة عن السؤال المقلِق: "كيف يمكن السماح بحدوث أمر كهذا"؟ وعلى الرغم من ذلك، معاينة التفاعل بين هذه المفاهيم تسلّط الضوء على الآليّات النفسيّة والاجتماعيّة-السياسيّة المعقَّدة التي تقف من وراء فشل المجتمع الدوليّ في معالجة الإبادة الجماعيّة في قِطاع غزّة على نحوٍ فعّال. علاوة على هذا، يمكننا أن ندّعي أنّ العلاقات الدوليّة غالبًا ما تكون مدفوعة بالسعي إلى تحقيق مزايا إستراتيجيّة وإظهار القوّة العسكريّة أو تلك الاقتصاديّة. يشكّل هذا الواقع تحدّيًا لجهود التحليل النفسيّ الرامية إلى الكشف عن العيوب الأخلاقيّة الكامنة وراء التقاعس العالميّ، لأنّها قد تتجاهل مدى تأثير مبدأ "القوّة تصنع الحقّ" على سلوك الدول على الساحة الدوليّة. فمن الممكن أن نقول إنّ إسرائيل والولايات المتّحدة تتصرّفان على هذا النحو لمجرّد أنّهما قادرتان على ذلك.

يتطلّب السؤال "أتراه حُلمًا أَمْ حقيقة؟" إعادةَ تقييم عميقة للإطار الأخلاقيّ الجماعيّ، ويحثّنا على مواجهة الحقائق غير المريحة المتمثّلة في تقاعسنا ولافعلنا ولامبالاتنا؛ إذ فقط من خلال مثل هذا التأمُّل الذاتيّ والاستعداد لتحدّي اللاوعي المعياريّ، ومواجهة ديناميكيّات الأليف-الموحش النازعة للصفة الإنسانيّة، والاعتراف بالأخلاق والوعي الذاتيّ بالموت في تفاعلاتنا العالميّة، يمكننا أن نأمل في منع استمراريّة مثل هذه الأهوال، والعمل صوب مستقبَل يحافَظ فيه فعليًّا على حقوق الإنسان وكرامته بالنظر إلى البشريّة جمعاء.

مدى الكرمل
المركز العربي للدراسات
الاجتماعية التطبيقية